الفصل الثالث

أولى المفاوضات والدسيسة

صُدم النظام بعد معركة زاويته إذ إكتشف الأبعاد السياسية الحقيقية لما كان يدور في كردستان بإعتبارها ثورة كردية كاملة الأبعاد واضحة المعالم والأهداف وليست مجرد إنتفاضة عشائرية محدودة في منطقة بعينها. روحٌ عمّت الثورة وسرت في أرجاء كردستان كما تسري النار في الهشيم واصيب عبدالكريم قاسم بصدمةٍ لم يكن يتوقعها أو يحسب لها حساباً. وخشي سوء العاقبة فأخذ يفكر بمعالجة الأمر قبل إستفحاله عن طريق آخر غير المواجهة فلجأ الى الحيلة والدسيسة بأن تظاهر بإرسال أحد أعوانه للمفاوضة في موضع معلوم بنيّةٍ مدبّرةٍ منه لقصف الموضع عند اللقاء بغية القضاء على البارزاني والرجل المفاوض معه.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الرجل (قاسماً) الذي أعلن عن موت البارزاني أو هروبه في إحدى خطبه عاد ليكتب للشيخ أحمد بأنه مستعد للصفح عن البارزاني بالعبارة التي كان يرددها دائماً: (عَفَا اللهُ عمّا سَلَفَ) شريطة أن يعود الى بارزان ويخلد الى السكون وبأنّه على إستعداد لإلغاء قرار سحب إجازة البارتي والسماح له بالنشاط العلني كالسابق وأن تعود العلاقة كما كانت قبلاً وآيتها الودّ والصفاء.

بعث الشيخ أحمد بفحوى رسالة (قاسم) للبارزاني صحبة الرسولين وَلي هَسني وأوسمان آغا بارزاني وبعد يومين من وصول الرسالة تلقى طلبَ قاسم بمقابلة رسوله العميد حسن عبود آمر اللواء الخامس فوافق على اللقاء. وفي اليوم السابع عشر من شهر كانون الأول عيّنت الحكومة للمفاوضين محلاً للإجتماع قريباً من سَرسنگ. إلاّ أنّ

البارزاني لم يحضر في المكان المعيّن بل بقي في موضع قريب من قرية بامَرني ثم بعث برسل الى الموضع الذي كان قد تقرر للإجتماع لينتظروا قدوم حسن عبود وليأخذوه الى الموضع الذي إختاره البارزاني شخصياً. وقد صدق حدسه فقاسم كان ينوي القضاء عليه وعلى رسوله أثناء اللقاء إذ اقبلت أربع طائرات بعد مغادرة حسن عبود الموقع وقصفته قصفاً عنيفاً مركزاً. شاهد حسن عبود بنفسه عملية القصف عن بعد وأدركه الخجل الشديد وصعب عليه الموقف الى حدّ كبير ولم يكن في ذهنه أي فكرة عن الجريمة التي دبَّرها زعيمه. كان حسن عبود من العسكريين الشرفاء صافي النية وكان يودُّ من كلّ قلبه إحلال السلم وقد أدركنا سلامة نيّته هذه من موقفه النبيل في الحيلولة دون إلحاق أذى الجاش ببارزان. قال البارزاني لحسن عبود عند اللقاء في الموضع الذي إختاره «أنا شخصياً لا أطلب من قاسم شيئاً لي فليعطِ الشعب الكُردي حقوقه وسأغادر العراق.» كنا قد أسلفنا فذكرنا شيئاً عن المنزلة الخاصة التي حظي بها هذا الضابط عند البارزاني وقد بات جلياً أن حياة هذا الضابط لم تكن ذات قيمة قطّ لقاسم لو نجح من القضاء على حياة البارزاني وعلى حياة رسوله معاً إلاّ أن بُعد نظر البارزاني أحبط دسيسته.

وقبل مغادرة حسن عبود المنطقة كانت قد نشبت معركة أخرى في منطقة شَرَفا، بقصد الإستيلاء على قرية مريبا وهي قرية عبدالله الشرفاني. وقد أستشهد في هذه المعركة البطل المغوار محمد أمين ميرخان[1] مع آخرين كـ(عيسى عبدالله وزبير فَقو).

ثم تلتها عدة إشتباكات أخرى كقتال أتروش في ٢٢ شباط ١٩٦٢ وقتال سَري باعَذري في ٢٣ آذار من السنة عينها. وتلاها إشتباك آخر بعدها بثلاثة أيام. وكان الفوز فيها أبداً للپيشمرگه. وقد وقعت بين صفوفهم خسائر كتبت لهم الشهادة فيها وحفظت الثورة للآخرين أدواراً بطولية من أمثال نَژاد بيروخي وسليمان ميرخان خردني وعلي خورشيد وحسن شيخ هَسني ومحمد سليم نيروَبي وشريف محمد كورَماري.

عاد حسن عبود الى الموصل فطلبه عبدالكريم فشخص الى بغداد وجرت مقابلة عاصفة له مع قاسم طفق خلالها يتهدَّد ويتوعّدْ ومما قال له: كيف تقول انك مخلص لي

١- أصيب في المعركة يوم ٧ آذار وأرسل الى مستشفى الموصل إعتماداً على قرار العفو الصادر من قاسم إلاّ أن السلطات المحلية مهّدت السبيل للمرتزقة فإقتحموا الغرفة التي كان يرقد فيها وأردوه قتيلاً في سريره برصاصهم.

في حين أنك لم تحاول قتل البارزاني أثناء إجتماعك به. فأجابه وكيف يمكن ذلك؟ قال إسحب مسدسك وأقتله. قال حسن عبود: اني اجتمعت به من أجل التوصل الى إتفاقٍ وسلام وقد سمح لي بالإحتفاظ بسلاحي إحتراماً وكان بوسعه أن يطلب نزعه منّي ولو حاولتُ أن أفعل ما تقول لما أصابني أي نجاح فقد كنا محاطين بحرسه اليقظ.

وبادر قاسم الى عزله من قيادة اللواء الخامس وأحلّ محلّه العميد علي العامري. ولقي حسن عبود من سوء المعاملة الكثير فقد ألحقه قاسم بإمرة الإدارة وهو العقاب الذي ينزل بالضباط المغضوب عليهم والذين يظهر منهم تقصير. وبقى محروماً من الخدمة الفعلية حتى نهاية حكم قاسم. وقد أنكر قاسم بأنه هو الذي أرسله لمقابلة البارزاني وإتهمه بأنه قام بذلك دون علمه أو أمر منه.

وكرّر (قاسم) محاولته بإرسال عدد من رؤساء عشائر بشدَر هذه المرة[٢]. في اليوم الخامس عشر من شهر آذار ١٩٦٢، إلتقى الوفد العشائري في قرية شَهيا وطرح الوفد المسألة كأنّ الموضوع شخصي بين قاسم والبارزاني. كانت إجابة البارزاني للوفد بالشكل التالي:

> "قولوا لعبدالكريم إنّ المسألة أوسع من أن تكون مسألة شخصية بيني وبينه. عليه أن يستجيب للمطالب الكُردية ويضمن لهم حقوقهم. وأنا من جهتي لا أطلب لنفسي شيئاً والبرهان هو إستعدادي فوراً لمغادرة البلاد حالما يحقق قاسم مطالب شعبنا. (هذه المطالب واضحة ومشروحة في مذكرة البارتي المرفوعة اليه في تموز ١٩٦١)."

إجابته هذه لم تكن تختلف مبنى ومعنى عن الإجابة التي أعطاها للعميد حسن عبود.

ونستدرك لنقول ان (قاسماً) كان قبل ذلك بأسبوع وبالضبط في ٧ آذار ١٩٦٢ قد أصدر عفواً عاماً عن القائمين بالحركة وأرسل نسخة منه مع الوفد[٣].

على اثر الكارثة التي مني بها الجيش العراقي في موقعة گلي زاويته. وفَشَل التآمر على حياة البارزاني أصدر قاسم الأوامر الى اللواء الحادي عشر من تشكيلات الجيش

٢- تألف الوفد من: ١- إبراهيم مامند آغا آكو، ٢- شيخ جنيد، ٣- حمه كبتاني مامَند آوا، ٤- بابكر سليم حاجي آغا.

٣- راجع قرار العفو العام في الملحق رقم (٣) قسم الملاحق.

واللواء الأول من الشرطة بالتقدم نحو سَرسنگ ثم الى بامَرني. وقد نُقل لنا أن آمر الفوج الأول من اللواء الحادي عشر (العقيد عبدالله حسن) الذي أُختير للتقدم في طليعة القطعات رفض تنفيذ الأمر وطلب السماح له بالشخوص الى البارزاني بنفسه سعياً وراء السلام. كان الأمر من الغرابة بمكان أن يمتنع ضابط عن تنفيذ أوامر قائده فهو بمثابة عصيان للأمر يستوجب العقاب. ولم يكن قاسم يريد على ما يبدو أن يتخذ إجراءات ضد ضابطه المتمرد. وبين هذه وتلك أصيب الضابط بما يشبه الإنهيار العصبي ودخل المستشفى ثم أحيل الى التقاعد. وبقي الأمر بالزحف على سَرسنگ وبامَرني غير منفّذ.

التوجه الى مناطق بَرواري ژيري، مزوري ژيري، آكري

بقيت سيطرة الحزب وقوات الثورة على المناطق التي ذكرناها آنفاً تامةً. ثم أرتؤي توسيع نطاق السيطرة على المناطق المجاورة الأخرى فتوجّه البارزاني بقوة من الپيشمرگه نحو منطقة بَرواري ژيري ومزوري ژيري وحرّرهما وأعلن الأهالي ولاءهم للپارتي وانضم معظم مسلحيهم الى قوات الپيشمرگه بإستثناء عدد قليل فضّل الإلتحاق بالحكومة وهو ما حصل ايضاً في آكري والمناطق الأخرى. واختلفت نسب الملتحقين بالثورة وبالحكومة ففي بعض المناطق انحازت الأكثرية الى قوات الثورة. وفي بعضها انضمت الغالبية الى قوات (الجاش).

بعد ذلك توجه البارزاني الى منطقة (نَهله) بغية تحريرها نظراً لموقعها الستراتيجي الهام بالنسبة للثورة.

في منطقة دولي (وادي) نَهله مجموعة كبيرة جداً من القرى المسيحية لم يشك قطّ في ولائها للثورة. وفيها تنتشر العشيرة الزيبارية ايضاً وقد إلتحق نفرٌ من رجالها بالثورة إلاّ أنّ أغلبيتهم إلتزموا جانب السلطة واصبحوا من المرتزقة الجاش. إن ذلك يعود الى العداء المستحكم الطويل الأمد بين عشيرة بارزان وحلفائها والعشيرة الزيبارية. والى جانب هؤلاء المنحازين الى السلطة كان هناك فوج من الشرطة في ناحية نَهله إلاّ أنّه لم يُبدِ مقاومة جدية عند دخول قوات الثورة المنطقة ولم ينجده الجيش فما كان

من أفراده إلاّ أنْ لاذوا بالفرار واستقروا في عقره (آكري). وحصلت إشتباكات فرعية في جبل آكري. وكانت الطائرات تواصل أثناء ذلك قصف مواقع الپيشمرگه دون إنقطاع وقد استشهد جراء ذلك ثمانية بينهم ستة من عشيرة النيروَيي.

ومن الجدير بالذكر أن قسماً من المسلحين الزيباريين تخلّف في المنطقة بعد دخول القوات الثورية وانضموا اليها.

شهد شهر نيسان ١٩٦٢ تحرير منطقة نَهله بأسرها فضلاً عن منطقة بَربنيا وسَري آكري ووادي بيخمه. ولم يعد للإدارة والقوات الحكومية والمرتزقة وجود فيها. ونذكر أنه رغم كون دولي (وادي) بيخمه منطقة سكن السورچية وان أكثريتهم من المرتزقة إلاّ أنّهم لم يُبدوا مقاومة بل انسحبوا. صعدت معنويات الپيشمرگه وتضاعفت ثقتهم بالثورة وبأنفسهم جراء هذا النجاح المتواصل. ولايفوتني قطّ أن أسجل تقديري وشكري لأهالي القرى المسيحية - بسبب ما قدموه للثورة من خدمات جليلة وما أظهروه من تفانٍ غير متوقّعينَ مكافأة عن خدمة فصائل الپيشمرگه كما أنهم تطوعوا كأدلاء وبسبب من هذا نالهم الأذى الكبير من السلطة وتعرضت قراهم الى القصف الجويّ الانتقامي المستمر كما لقوا من الجاش الأمرّين.

بحلول شهر أيار ١٩٦٢ كان إقليم بادينان بأسره في قبضة الثورة بإستثناء مراكز الأقضية وبعض النواحي تطبيقاً للأوامر والمقررات المتخذة (انظر ما سبق) بتحاشي إحتلال المراكز المأهولة الكبيرة. ورسخت جذور الثورة ونفذت عميقاً في تربة كردستان وانتشرت مفاهيم الحزب بين الجماهير وبدأ شباب الكُرد الحاضرين من المدن يتقاطرون للإلتحاق بقوات الثورة. رفعت معنويات السكان الكُرد في المدن ولاسيّما بين الشباب المتعلمين والدوائر المثقفة مقابل هبوط معنويات الأعداء ورصيد السلطة عند الأهالي.

فيما يلي ثبت بالخسائر التي مني بها الجيش والجاش من جهة والپيشمرگه من جهة أخرى خلال الفترة الممتدة بين ١١ أيلول ١٩٦١ (بدء الثورة) حتى ٣٠ نيسان ١٩٦٢:

٤٠ شهيداً و٧٨ جريحاً من الپيشمرگه.

ومن الجيش والجاش والشرطة ١٢٢٥ قتيلاً و١٤٥٠ جريحاً و١٣٢٦ أسيراً (أُطلق سراحهم)

تنظيم الإدارة والاشراف العسكري والحزبي في بادينان

قرر البارزاني بعد تحرير اقليم بادينان. التوجه نحو (سوران) لتحريرها شبراً شبراً كما فعل في بادينان. وقبل الشروع في الزحف أجرى البارزاني التعيينات التالية:

١- أسعد خوشوي قائداً عاماً في الاقليم.
٢- محمد أمين ميرخان قائد القوات الضاربة تحت إشراف البارزاني المباشر وحاجي بيروخي الى جانب مصطفى نيروَيي وعريف ياسين وكَكُو ميرگەسوري وحسن خال همزه وشريف عبدالله وملا أمين معاونين له.
٣- عيسى سوار قائداً لمنطقة زاخو على ان يكون علي هالو معاوناً له.
٤- علي خليل قائداً لمنطقة دهوك بمعاونة فارس كورَماركي.
٥- حَسو ميرخان دولُومَري قائداً لمنطقة الشيخان وبغازي حاجي ملو وهرمز مَلَك چكو وعمر آغا دولُومَري وشكر عبدال شيخكي معاونين[٤].

واطلق على التشكيلات العسكرية أسماء المناطق التي تقع تحت سيطرتها وبقي الأمر على هذا الترتيب حتى العام ١٩٦٤ وطبق نظام الجيش العراقي على القوات فاستحدثت الألوية والأفواج والسرايا والفصائل باسمائها الكُردية (هيز. بَتاليون. لق. پَل).

إلتحاقي بالثورة

لم يتَحْ للوالد فرصةُ الإجتماع بأولاده وأعضاء أسرته خلال إنشغاله في بادينان. كانت أسرتنا وبقية أُسر الشيوخ الآخرين في ميرگەسور كما أسلفت حيث مقر الجيش. فبعث الوالد الينا بعلي شعبان يحمل الينا نصائحه وارشاداته. ورتّب أن يكون إدريس وكيله يطيعُه الجميع وأوصى بالتفاهم والتعاون بين إدريس وبيني وبتعبيره المنقول الينا [أن يكون إدريس ومسعود روحاً واحدة في جسمين] وأوجب علينا أن نستأنس بمشورة عمنا (بابو) كلما دعت الحاجة وان إقتضت المصلحة والحاجة فليراجَع الشيخ أحمد. كان عمنا (بابو)

٤- رُبّ سائلٍ يسأل لماذا أنيطت قيادة الجبهات بالبارزانيين فقط؟ والجواب هو أنّ كلّ العشائر كانت راضية بالعمل تحت قيادة شخصٍ بارزانيّ بينما كانوا يرفضون إطاعة قائدٍ آخر. ومن جهة أخرى فإنّ القادة الذين عيّنهم البارزاني كانوا كلّهم من رفاقِ مسيرته الى الإتحاد السوفييتي وممن ساهموا في معارك ١٩٤٣ و١٩٤٥ ومعارك الدفاع عن جمهورية كردستان في مهاباد وأثناء المسيرة وإكتسبوا خبرة قتالية هائلة بالإضافة الى العلوم العسكرية التي تعلّموها من الدورات العسكرية التي دخلوها في الإتحاد السوفييتي عام ١٩٤٨، وكانوا بمثابة معلّمين للجيل الجديد.

رجل دين لا رجل دنيا لم يتدخل قط في أمور السياسة والشؤون الدنيوية طوال عمره ومع ذلك فقد إلتزمنا الأمر وبقي يرعانا وكان منزله مجاوراً لبيتنا. وأبت نفسه الكريمة إلاّ أن يكون معنا عندما انتقلنا الى بيدارون فنقل بيته اليها لنكون دائماً تحت أنظاره.

طلبتُ من والدي عن طريق علي شعبان أن يجيز لي الإلتحاق به إلاّ أنّه أبى وكان لي من العمر إذ ذاك خمس عشرة سنة وأصرّ على أن أكون مع إدريس فأطعتُ. وبقي الحال كذلك حتى قدم الوالد الى دولي (وادي) نهله فأعدتُ رجائي بالشخوص اليه برسالة اوضحت له فيها شدّة رغبتي في الإنضمام اليه. وكان جوابه السماح بذلك شريطة أن يأذن لي العم (بابو) ومصطفى عبدالله بعد موافقة الأخ إدريس ثم أحال القرار القطعي الى الشيخ أحمد. ألححتُ على الأخ إدريس كثيراً حتى أقنعته ووافق على معاونتي في الحصول على موافقة العم (بابو) ومصطفى عبدالله. وتوجّه إدريس صحبة العم بابو الى الشيخ أحمد لاستحصال الإذن والاجازة. وكاد قلبي يتوثب بين ضلوعي أثناء غيابهم الذي دام يومين. واستبد بي القلق خشية رفض الشيخ إذ ما كنت أدري ما سأصنع بنفسي لو حبس عني إجازته فقد تصورت بأنها النهاية. إلاّ أن العناية الإلهية استجابت لي وحققت أمنيتي وأجاز العم وإدريس رحيلي.

بعث إدريس برسالة للوالد يذكر فيها أن إجماعاً تم على إعطائي الإذن بالإنضمام اليه وطلب منه أن يزوده بالمعلومات الضرورية عن الزمان والمكان الذي يستنسبه لإرسالي اليه. بعث البارزاني بعُزير دولُومَري الى منطقة معينة بين منطقة ريزان وآلكه حيث هناك معبر فوق الزاب لأخذي اليه. فاجتزت الى الضفة الأخرى وبصحبتي محمد مصطفى أحد حراسنا. ما أن وقع نظري على عُزير وجماعة البيشمرگه وكلهم من معارفي حتى غمرني فرح عظيم يتعذر وصفه. وشعرت وكأني ملكت الدنيا وبأني مستعد لمسابقة الريح للوصول اليهم.

قضينا ليلة ١٩-٢٠ من أيار ١٩٦٢ كلها نسير، وبدأنا صباح اليوم التالي نرتقي جبل (پيرس) حتى بلغنا القمة وهي (سَري آماد) وبلغنا عصر ذلك اليوم كانيا توزي (نبع الچنار) في وادي بيخمه. وكنا نلاقي في طريقنا، جماعات وزمراً من البيشمرگه تضيء وجوههم بالبشر والثقة بالنفس. منظر رائع مهيب لا عهد لي به من قبل. كان الإعجاب والفخر يشيعان في نفسي فضلاً عن الإيمان والأمل وأنا أمر بهم. في الساعة

السادسة من عصر يوم ٢٠ أيار وصلتُ الى مقر الوالد إلاّ أنّه لم يكن هناك فقد توجه للإستطلاع في منطقة بيخمه. وعندما عاد ووقعت عيني عليه غرقت في موجة من الفرح ولم استقر إلاّ والدموع تنهمر من عينيّ ولحظتُ مبلغ فرحته بي، بادر أولاً بالسؤال عن صحة الشيخ والعم بابو ثم أخذ يسأل عن بقية الأسرة بالاسم فرداً فرداً وكنت أجيبه ثم أبلغته سلامهم. فيكون إلتحاقي بالثورة والحالة هذه في ٢٠ أيار ١٩٦٢ ويشكل هذا اليوم تاريخاً مضيئاً في حياتي.

اني لأعجز عن وصف ما شاع في نفسي من مسرة وقد فوجئت بهذا الجيش المنظم الشاكي السلاح وكله كان فوق تصوري. وقد اجتذب انظاري بصورة خاصة الجهاز اللاسلكي الذي كان يحمله معاون الشرطة البيشمرگه شوكت إسماعيل مسؤول المخابرة ومعاونه ملا سليمان. وتابعته وهو يعمل بجهازه مفتوحاً يستقبل البرقيات الواردة من الجبهة ويلتقط البرقيات التي كانت تتبادلها الوحدات العسكرية ويقوم بفك جفرتها ولم تفُته حركة واحدة من تحركات الجيش العراقي. فقد كان من الموهوبين في فك الجفرات التي يستخدمها الجيش ولم تعص عليه واحدة منها لاسيّما تلك الجفرات التي تنبيء بقرب غارة جوية في منطقة ما فتتخذ الحيطة ولايفاجأ الأهلون بها. كان اليوم العشرون من أيار ١٩٦٢ واحداً من أيام حياتي التي لاتنسى فقد اصبحت فيه مقاتلاً في صفوف پيشمرگه كردستان. بأمل عظيم في أن أبقى كذلك حتى نهاية حياتي.

قدوم محمود كاواني الى البارزاني

بقي محمود كاواني صامداً آمناً بمناعة جبل سَفين ومنطقة خوشناو منذ بدء الثورة لايستجيب لإغراءات السلطة. وصار بؤرة لتجمع القوات الثورية ومقراً للحزب. كان محمود كاواني رمز أمل المقاومة الوطنية في أربيل، تتنسم المجالس الخاصة أنباء أعماله البطولية الجريئة وكان مقره مقصداً وكعبةً يحج اليها المواطنون المخلصون معلنين إنضمامهم الى الثورة. وتلك حقيقة واقعة لامراء فيها.

سلسلة الإنتصارات التي حققتها الثورة في منطقة بادينان وشيوع أنبائها ضاعفت القوات التي كانت تنتظمها جبهة كاواني بحيث إستطاع أن يقوم بنشر قواته في مناطق واسعة وتمكن من تحرير أجزاء هامة في المنطقة. وكانت صلته بالبارزاني مستمرة.

في يوم ١٩ آذار ١٩٦٢، وصل كـاواني الى مـقـر البـارزاني مع حـوالي مـائة من البيشمـرگه يصحبه (عبيدالله) الذي إستطاع التسلل من بغداد والإلتحاق به. كان النظام قد أصدر أمر القبض عليه في أيلول ١٩٦١ إلاّ أنّه تمكن من الإفلات وبقي مختفياً في بغداد حتى آذار ١٩٦٢ حيث تمكن من الخروج. وبمعاونة أعضاء من الحزب وصل الى مقر كاواني.

بسط كاواني للبارزاني الوضع الستراتيجي في منطقة أربيل وكان قد سبقه الى البارزاني الشهيد (أحمد توفيق) أمين السرّ العام للحزب الديمقراطي الكُردستاني الإيراني وزوّده بالمعلومات الكافية حول الوضع في منطقتي السليمانية وأربيل بالتفصيل. كما حمل إليه رسائل من عدد كبير من زعماء ورؤساء عشائر تلك المناطق فضلاً عن عدد من كوادر الحزب وهي تشدد على البارزاني بضرورة التوجه اليهم.

وبقدوم كاواني والإصغاء الى شرحه وأقواله إقتنع البارزاني بصواب فكرة الشخوص الى تلك المناطق التي نوّه بها أحمد توفيق. وشرع فور ذلك بإعداد خطته للزحف نحو (سوران).

عندما غادر البارزاني منطقة بادينان كان عدد قوات البيشمرگه فيها قد تجاوز الخمسة آلاف پيشمرگه.